مختارات إيرانية

السنة الخامسة عشرة ـ العدد ١٨٧ ـ يوليو ٢٠١٦

رئيس مجلس الإدارة

أحمد السيد النجار

مدير المركز

ضيــاء رشـــوان

رئيس التحرير:

محمد عباس ناجى

مستشارا التحرير:

د.محمد السعيد إدريس

د. محمد السعيد عبد المؤمن

مدير التحرير:

د. أميرة محمد عبد الحليم

وحدة الترجمة :

د. علاء السباعى

د. محمد حسن الزيبق

د. مسعود إبراهيم حسن

أ. أحمد فتحى قبال

د. صالح شبل عبد المعطي

أ. محمد بناية

صورة الغلاف :



خامنئي والحرس الثوري يوجهون رسائل قوية باستمرار إلى واشنطن وروحاني بأن الاتفاق النووي لن يؤدي إلى إجراء مزيد من المفاوضات حول الملفات غير النووية.

المستشار الفنى :

السيد عزمى

الإخراج الفنى :

مصطفى علوان

مؤسسة الأهرام – شارع الجلاء – القاهرة – جمهورية مصر العربية – ت : ٢٥٧٨٦١٠٠ / ٢٥٧٨٦٢٠٠ / ٢٥٧٨٦٣٠٠ فاكس : ٢٥٧٨٦٠٢٣ / ٢٥٧٨٦٠٣٧

بعد الاتفاق النووى:
هل تسعى إيران إلى تطوير علاقاتها مع دول غرب أفريقيا؟

◆ د. أميره محمد عبدالحليم
مدير تحرير مجلة "مختارات إيرانية"

قام وزير الخارجية الإيرانية جواد ظريف فى يوليو الماضى بزيارة لأربع دول فى غرب أفريقيا، هى نيجيريا وغانا وغينيا ومالى، وحملت هذه الزيارة العديد من الدلالات التى تعكس التحول الذى شهدته السياسة الخارجية الإيرانية عقب توقيع الاتفاق النووى مع مجموعة "٥+١" أو ما يعرف بخطة العمل المشتركة (JCPOA) فى يوليو ٢٠١٥، إذ تعد هذه الزيارة الثانية لوزير الخارجية الايرانى ظريف إلى أفريقيا عقب توقيع الاتفاق، حيث كان قد زار تونس والجزائر فى صيف ٢٠١٥.

فقد قدمت العقوبات الاقتصادية التى فرضتها القوى الغربية على إيران نتيجة لبرنامجها النووى فرصة ذهبية لتوطيد علاقات إيران مع البلدان الأفريقية، سياسيا ودبلوماسيا، حيث سعت إيران لكسر الحصار المفروض عليها بالاعتماد على سياسة كسب الحلفاء لتأمين وصولها للممرات المائية فى أوقات الأزمات والحصول على احتياجاتها من مخزون اليورانيوم وكذلك الاستفادة من أصوات هؤلاء الحلفاء لدعم موقفها فى المنظمات الدولية .

وقد شهدت السياسة الخارجية الإيرانية تحولات كبيرة وخاصة بعد وصول أحمدى نجاد إلى السلطة عام ٢٠٠٥، بعد أن احتلت القارة الأفريقية أولوية فى حكومته واندفعت الدبلوماسية الإيرانية صوب القارة إلا أن هذا التطور فى العلاقات بين الجانبين لم يكن واضحا فى عهد الرئيس حسن روحانى .

ومع توصل إيران للاتفاق النووى مع مجموعة "٥+١" فى يوليو ٢٠١٥، والذى تضمن تخفيفا للعقوبات المفروضة عليها، والذى تزامن مع تطورات تشهدها القارة الأفريقية وخاصة إقليم غرب أفريقيا، وكذلك المنطقة العربية، حيث اتجهت إيران إلى توطيد علاقاتها مع عدد من الدول الأفريقية فى محاولة لاستثمار هذا التقارب فى تحقيق مجموعة من الأهداف .

ويسعى هذا التقرير إلى تقديم بعض الإجابات عن التساؤلات التى أثارتها زيارة جواد ظريف إلى عدد من دول غرب أفريقيا ؟ وما تحمله هذه الزيارة من دلالات حول التحولات التى شهدته السياسة الخارجية الإيرانية عقب الوصول للاتفاق النووى؟ .

أولا : تحولات بارزة فى إقليم غرب أفريقيا

خلال الأشهر القليلة الماضية حظى إقليم غرب أفريقيا باهتمام دولى كبير، فى ظل بروز مجموعة من التطورات أهمها :

١- الصعود الكبير للعمليات الإرهابية التى تقوم بها جماعة بوكو حرام وما تفرضه من تداعيات حاسمة على دول الإقليم.

٢- تزايد دور الجماعات الشيعية فى الإقليم الذى يضم أكبر كتلة إسلامية فى أفريقيا، حيث مثلت الجاليات اللبنانية النواة الأولى لوجود الشيعة فى الإقليم ومع الثورة الإسلامية فى إيران وأفكار تصدير الثورة تزايدت أعداد الشيعة فى ظل الرعاية الإيرانية لهذه الجماعات، وتعد الحركة الشيعية فى نيجيريا أكبر جماعة شيعية فى أفريقيا، وتمتلك هذه الحركة قوات شبه عسكرية يطلق عليها "الحراس" ولديها صحيفة وموقع الكتروني، ووفقا لبعض التقديرات فإن أعداد الشيعة تصل إلى ٧ مليون مواطن فى غرب أفريقيا (١).

وخلال شهر نوفمبر ٢٠١٥ قامت جماعة بوكو حرام الإرهابية بالهجوم على موكب شيعى مما أدى إلى مقتل ٢٢ شخصا . كما حدثت مواجهات بين الشيعة وقوات الشرطة النيجيرية فى ديسمبر ٢٠١٥، أسفرت عن مقتل بعض الشيعة واعتقال القيادي الشيعى إبراهيم الزكزاكى، مما دفع الرئيس الإيرانى حسن روحانى للاتصال بالرئيس النيجيرى محمد بخارى وطلب منه دفع تعويضات لضحايا المواجهات، وكذلك الإفراج عن الزكزاكى مما اعتبره البعض تدخل إيرانى فى الشئون الداخلية لنيجيريا (٢).

٣- زيادة الحضور العسكرى الأمريكى فى إقليم غرب أفريقيا وتحديدا فى السنغال، حيث تعمل الولايات المتحدة خلال الشهور الأخيرة على زيادة عدد جنودها فى هذه الدولة للاستعداد لمواجهة أى تطورات مهددة للمصالح الأمريكية وخاصة فى ظل تصاعد التهديدات الإرهابية فى الإقليم، فى الوقت الذى تشهد العلاقات بين إيران والسنغال بعض التوترات نتيجة لمشاركة الأخيرة بقوات ضمن التحالف الذي تقوده المملكة العربية السعودية ضد الحوثيين فى اليمن، وكانت السنغال قد قطعت علاقتها الدبلوماسية بإيران فى عام ٢٠١١ على إثر اكتشاف عملية تهريب لأسلحة إيرانية إلى غرب أفريقيا عبر ميناء لاجوس النيجيرى وتعرض جنود سنغاليين للقتل نتيجة لهذه العملية، حيث لم تُستأنف العلاقات بين البلدين إلا فى عام ٢٠١٣ .

٤- استعادة غينيا كوناكرى ذات الأغلبية المسلمة لعلاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل فى يوليو ٢٠١٦ ، بعد مرور ٥٠ عاما على قطع العلاقات بين الدولتين على إثر العدوان الاسرائيلى على الآراضى العربية فى عام ١٩٦٧ .

ثانيا : دلالات زيارة وزير الخارجية الايرانى للإقليم

عكست الزيارة التى قام بها وزير الخارجية الإيرانى لكل من نيجيريا وغانا وغينيا ومالى، العديد من الدلالات:

فمن ناحية، أوضحت هذه الزيارة الأهداف التى تحاول إيران تحقيقها فى إطار علاقاتها الخارجية وخاصة ما تطلق عليها جبهات "المستضعفين" فى العالم ومنها أفريقيا، فقد عملت إيران فى السابق على استغلال ما تعرضت له الشعوب الأفريقية من احتلال واستغلال غربى لبناء تحالفات مع هذه الشعوب. أما الآن وبعد توقيع الاتفاق النووى مع الغرب فتسعى إيران لاستثمار الأجواء الايجابية التى نتجت عن الاتفاق لإحراز تأثير أوسع فى أنحاء القارة النامية، من خلال محورين:

تأكيد حضورها فى كافة التطورات التى يشهدها إقليم غرب أفريقيا وخاصة ما يتعلق بالتهديدات الإرهابية التى تمثلها جماعة بوكو حرام، وعلى الرغم من أن إزالة بعض العقوبات قد سمح ببروز هذا المحور الإستراتيجي وجعلته محتمل، إلا أن التطورات الدولية يسرت من صعود إيران إلى مسرح الأحداث الدولية.

وفى هذا الإطار أعلن وزير الخارجية الإيرانى جواد ظريف فى مالى أن إيران ستتعاون مع باماكو فى محاربة الإرهاب، وأعلن كذلك خلال لقائه مع الرئيس النيجيرى محمد بخارى استعداد بلاده للتعاون مع نيجيريا في مواجهة بوكو حرام وغيرها من الجماعات الإرهابية (٣).

وفى المقابل كانت وزارة الخارجية الأمريكية قد أصدرت تقريرها السنوى حول الإرهاب فى العالم فى شهر يونيو الماضى وصنفت فيه إيران كأكبر راعى للإرهاب فى العالم، وبررت هذا التصنيف بأن إيران تقدم أنواعا مختلفة من الدعم سواء المالي أو التدريب أو التجهيز لجماعات إرهابية حول العالم مثل حزب الله، وعدد من الميليشيات الشيعية الإرهابية في العراق مثل كتائب حزب الله، وكلا الجماعتين مصنف بقائمة الإرهاب (٤).

أما الحرس الثورى فهو متورط مع المافيا منذ ثلاثة عقود فيما يعرف بـ "الاقتصاد الخفى " Underground Economy"" والذى يشمل التجارة غير المشروعة للأسلحة والمخدرات ودعم الجماعات الإرهابية، وكان تقرير وزارة الخارجية الأمريكية لعام ٢٠١٢ قد وصف قائد الحرس الثورى بـ"العقل المدبر لتصدير إيران للمخدرات وخاصة الهيروين للغرب"، وأشار إلى أن الحرس الثورى يدعم تهريب المخدرات الذى يمثل وفق التقديرات الأمريكية ٣٦ ٪ من الناتج المحلى الاجمالى لإيران. ووضعت الولايات المتحدة قادة الحرس الثورى ضمن العقوبات المفروضة على إيران إلا أن هؤلاء القادة يحتفظون باستقلال مالى على الرغم من

العقوبات الأمريكية(٥) .

زيادة التعاون الاقتصادى مع دول القارة، فمن المرجح أن يخفف الاتفاق النووى من التردد من جانب القادة الأفارقة لتوسيع العلاقات الاقتصادية مع إيران. وقد اصطحب وزير الخارجية الإيرانى جواد ظريف خلال جولته الثالثة إلى أفريقيا ٣٩ مدير شركة اقتصادية، حيث وقعت إيران على ١٠ وثائق للتعاون الاقتصادى مع غينيا خلال زيارة وزير الخارجية الايرانى، تشمل مجالات التعدين (الماس والذهب، واستخراج النفط) وبناء المحطات والطرق السريعة واتفق الجانبان على تشكيل لجنة اقتصادية مشتركة لتوسيع العلاقات الثنائية، وخلال زيارته لغانا تعهد وزير الخارجية الإيرانى بتعزيز التعاون بين البلدين فى مجال الرعاية الصحية (٦).

كما يمثل النفط أحد الموارد الرئيسية التى تحتل العديد من دول غرب أفريقيا مرتبة متقدمة فى إنتاجه على المستوى الدولى، وتعتمد عليه كمصدر رئيسى لإيراداتها المحلية، ومنها نيجيريا التى تحتل المرتبة الثامنة على مستوى العالم فى إنتاجه، وتمثل عائدات النفط ٧٥٪ من إيرادات الدولة، وقد شهد عاما ٢٠١٤- ٢٠١٥ اضطرابات شديدة فى أسعار النفط أرجعها البعض للصراع بين إيران والسعودية حيث ترفض الأخيرة زيادة الإنتاج، مما يؤثر على أسعار النفط، حيث أدى التراجع فى أسعار النفط إلى فقدان نيجيريا لمركزها كأكبر منتج للنفط فى أفريقيا لصالح أنجولا، وكذلك فقدانها مركزها كأكبر اقتصاد فى القارة الأفريقية لصالح جمهورية جنوب أفريقيا (٧).

وقد أثبتت بعض الدراسات أن التراجع فى أسعار النفط فى الدول الأفريقية سيؤدى إلى مزيد من الاضطرابات السياسية والاقتصادية، فإلى جانب تراجع العائدات من النفط، هناك دول أفريقية تحصل على مساعدات من الدول الأفريقية المنتجة للنفط، وقد تأثّرت بدورها بالأزمة الأخيرة، التي دفعت، دول نفطية، مانحة، على غرار الجزائر، إلى تقليص مساعدات اقتصادية وعسكرية تقدمها لدول أفريقية سنويا. وكشفت مصادر جزائرية أن قيمة المساعدات السنوية، التي تحصل عليها دول فى غرب أفريقيا مثل موريتانيا والنيجر ومالي وبوركينا فاسو، تتعدى ٨٠ مليون دولار سنويا، ستنخفض إلى أقل من النصف بسبب تدهور أسعار النفط الذي يمثل ٩٧٪ من قيمة صادرات البلاد (٨) . وتسعى إيران للتعاون مع الدول الأفريقية النفطية فى إطار منظمة الدول المصدرة للنفط أوبك للتأثير على قرارات المنظمة فيما يتعلق بأسعار النفط .

ومن ناحية ثانية ، تسعى إيران لمواجهة الحضور الخليجى، وخاصة السعودى فى أفريقيا فى ظل التطورات المتصاعدة التى تشهدها منطقة الشرق الأوسط وتحديدا فى سوريا واليمن والعراق وليبيا، حيث أعلنت العديد من الدول الأفريقية (السودان والصومال وجيبوتى، السنغال) مساندتها للدور السعودى فى الشرق الأوسط وهى دول ذات أغلبية سنية ، كما تشارك السنغال فى عاصفة الحزم، وتحاول السعودية استقطاب نيجيريا للمشاركة هى الأخرى فى التحالفات التى تقودها فى الشرق الأوسط ، وفى المقابل تسعى إيران إلى الاستفادة من الكتلة الشيعية فى غرب أفريقيا فى زيادة الدعم المقدم إلى حزب الله لمواجهة التطورات التى يشهدها الشرق الأوسط.

وقد حملت التحركات الشيعية التى شهدها إقليم غرب أفريقيا فى أعقاب توقيع إيران للاتفاق النووى مع الغرب مؤشرات على زيادة شعور الشيعة فى غرب أفريقيا بالقوة ، بعد تخلص الراعى لحركاتهم من العقوبات الدولية التى فرضت لسنوات قيود على دوره ودعمه للكتلة الشيعية فى غرب أفريقيا.

ويبدو أن المملكة العربية السعودية ترحب بتأييد العديد من الدول الأفريقية لمواقفها وتحاول استثمار هذه الحالة فى مواجهة الطموحات الإيرانية، وقد اتضح هذا التوجه فى الزيارة التى قام بها وزير الخارجية السعودى عادل الجبير لعدد من دول إقليم غرب أفريقيا (غانا ومالى والسنغال) بعد أقل من أسبوعين من زيارة نظيره الإيرانى للإقليم، مما جعل البعض يعتقد أن السعودية تعمل على نقل جزء من صراعها مع إيران إلى داخل القارة الأفريقية.

إلا أن الدول الأفريقية عليها ألا تسمح بأن تصبح جزءا من صراع بين قوى خارجية، وقد تعرضت الدول الأفريقية لتجارب عديدة من هذا القبيل مما كان له انعكاسات خطيرة على الاستقرار الداخلى فى عدد منها، فى الوقت الذى لا يزال تأثير الاتفاق النووى بين إيران ومجموعة ٥+١ غير واضح ، فى ظل رفض قوى داخلية فى إيران لهذا الاتفاق وعدم اعترافها بتأثيراته الايجابية على مقومات القوة الإيرانية، وتأكيدها على استمرار عداء إيران للولايات المتحدة الأمريكية وفى مقدمة هذه القوى المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية على خامنئى، وعلى الجانب الآخر تحرص الولايات المتحدة على وضع العراقيل أمام تنفيذ بنود الاتفاق النووى وخاصة ما يتعلق بإزالة العقوبات المفروضة على إيران .

الهوامش

١) محمد الأمين سوادغو ، انتشار التشيع وتأثيره في النسيج الاجتماعي في غرب أفريقيا ، ٢٠١٦-٠٦-٠٢

www.qiraatafrican.com/home/new

(2) John Campbell , “Massacre” of Shia in Northern Nigeria an Opening for Iran, December 16, 2015, http://blogs.cfr.org/campbell/201516/12//massacre-of-shia-in-northern-nigeria-an-opening-for-iran/

انظر أيضا :

Yaroslav Trofimov, With Iran-Backed Conversions, Shiites Gain Ground in Africa, May 12, 2016, http://www.wsj.com/articles/with-iran-backed-conversions-shiites-gain-ground-in-africa-1463046768

(3) Iran ready to back Nigeria in fighting Boko Haram, Tue 26 July 2016, http://en.mehrnews.com/news/118384/Iran-ready-to-back-Nigeria-in-fighting-Boko-Haram

(٤) بتقرير "الدول الراعية للإرهاب" للخارجية الأمريكية : إيران تتصدر قائمة فيها السودان وسوريا.. وداعش "أكبر خطر دولي" ،

http://arabic.cnn.com/world/201603/06//state-department-report-terrorism

(5) Bailee Ahern, Iran›s Push for West Africa: A Drug-Fueled Tale of Subterfuge, August 15, 2016, www. http://www.globalintelligencetrust.com/single-post/201614/08//Irans-Push-for-West-Africa-A-Drug-Fueled-Tale-of-Subterfuge

(6) Iran, Guinea sign 10 documents on economic cooperation, 30 July 2016 , http://www.azernews.az/region/100129.html

Roundup: Iran›s FM terms West Africa tour "successful", July 30, 2016, http://www.china.org.cn/world/Off_the_Wire/201630/07-/content_38987775.htm

(7) Cynthia Okoroafor, Caught in the middle: What the ongoing Saudi – Iran conflict means for Nigeria, January 17, 2016, https://venturesafrica.com/features/151186/

أنظر أيضا :

بسبب تدهور أسعار النفط.. نيجيريا تفقد مكانتها الاقتصادية في إفريقيا، ١٣-٠٨-٢٠١٦،

http://www.elwatannews.com/news/details/1322803

(٨) أفريقيا النفطية› تخرج خاسرة من أطول فترة ازدهار في أسعار الطاقة ، ٢٠١٥/١/٣٠ ، http://www.alarab.co.uk/?id=m ٤٣٩٨٦